

عوامل نمو التطرف في المجتمعات العربية المعاصرة: دراسة سوسيولوجية

The Development Factors of Extremism and Its Relations with Contemporary Arabic Communities: A Sociological Study.

1 يوسف ضامن خطيبة/ الأستاذ المشارك في علم الاجتماع السياسي/جامعة البلقاء

التطبيقية Mail: y.katibh@bau.edu.jo

2 عبد السلام محمد انجادات/الأستاذ المشارك في العلوم السياسية/ جامعة البلقاء التطبيقية

¹ جامعة البلقاء التطبيقية: Mail: drnajat@yahoo.com

تاريخ القبول: 2019/02/20

تاريخ الاستلام: 2019/02/05

المؤلف المرسل د. يوسف ضامن خطيبة الإيميل: y.katibh@bau.edu.jo

ملخص: يقدم هذا البحث تحليل سوسيولوجي لموضوع عوامل التطرف وانتشاره في المجتمعات العربية وارتباطاته المتعددة في السياقات البنيوية. واعتمد الباحثان على المنهج التحليلي في تناول الظاهرة في ضوء الخبرات المعرفية النظرية والامبريقية ونتائج الدراسات. وتمحورت القضايا المطروحة حول مفاهيم التطرف وجذوره التاريخية ومظاهره وأنواعه مع التركيز على دور العوامل السياسية الدافعة لنمو التطرف، والعوامل الدينية والعقائدية والعوامل الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والنفسية والتربوية. وقد بات من المثبت هذه العوامل شكلت التربة الخصبة لنمو التطرف في مجتمعاتنا المعاصرة. وفي الوقت ذاته ارتبط نمو التطرف المعاصر بالاضطرابات المجتمعية، ونتاج الحروب والتبعية والسيطرة الأجنبية، من ناحية أخرى منه ما كان انعكاسا لخللا ثقافيا واجتماعيا وعقائديا في ضل تفشي نضوب الفكر الناضج وغياب القدوة الحقيقية والنماذج السليمة كمراجع مؤثرة في حيات الأفراد والشعوب. ليرتب على التطرف في المجتمع ظواهر أخرى خطيرة كالعنف والإرهاب، واللامبالاة والانعزالية وفقدان الوعي المجتمعي، والانفصال الميتافيزيقي والفكري بين الشخص المتطرف وأسرته ووحده القروية، ثم عن مجتمعه وقوميته، بل وعن الإنسانية، وحينما يتحول التطرف إلى سلوك،

ينذر بحتمية عدم الاستقرار الفردي والمجتمعي، وخطر يفتك بالمنظومة القيمية والأخلاقية للمجتمع بعمومه.
كلمات مفتاحية: العوامل؛ التطرف؛ المجتمع العربي.

Abstract:

This research introduces a sociological analysis to extremism factors and its dissemination in Arabic communities, its multiple relations in structural dimensions. The researcher depends on the analytical approach in investigating such phenomenon according to the empirical theoretical Knowledge experience, the results of study.

The given issues revolve around extremism, its historical roots, its kinds and manifestations. In addition, it focuses on the role of the political factors in sustaining extremism, as well as the dogmatic, religious, economic, cultural, sociological, psychological and educational factors.

It goes without saying that these factors formed a fertile soil to the development of extremism in our Contemporary Arabic communities. At the same time, the development of contemporary extremism is tied with Sociological turbulences, the results of wars, chauvinism, jingoism and foreign domination on another side. As such, extremism can be seen as a reflection to cultural, Sociological and dogmatic disaffection. As well as the pervasiveness of retrograding the mature intellect, the absence of the real ideal, the right paradigms as an effective resources in individuals' life and nations. The result effects of extremism can be further seen in violent, terrorist acts, indifference, isolation, the absence of collective Consciousness, the metaphysical cultural disconnection between the extremist and his bath of his familial and relational ties. Then from his society and nationalism, furthermore, frame his humanism.

Once extremism is transformed into behaviors, precursor becomes an inevitable precursor for the individual social instability. It also becomes a threat that dismantles the ethical paradigm values of the whole society.

Keywords: Factors ; Extremism ; Arabic community.

1. مقدمة:

يعتبر التطرف ظاهرة بشرية عالمية الوجود لا تقتصر على مجتمع دون آخر ولا تفرق بزمان معين أو مكان ما، فمنذ الأزل لم يظهر دين أو مذهب أو نظام إلا وكان من بين أعضائه أو أنصاره متطرفون ومعتدلون، واستمرت هذه الظاهرة إلى يومنا هذا إذ أخذت بالتزايد والانتشار بشكل غير مسبوق في ضل أزمت التغيير المعاصرة، كالتناقض الثقافي، والفوضى المعيارية، وتحول المجتمعات العربية نحو الاضطراب والانفلات، وانعدام الأمن والاستقرار وبفعل الانتشار الواسع والسريع لوسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، وتردي الأوضاع من مختلف الميادين، كالفقر والبطالة والتمييز والتسلط والانحراف بأشكاله المختلفة. ويزداد الأمر خطورة النمو المتسارع لجماعات متطرفة تطورت بالاستفادة من تلك الوسائل لنشر أفكارهم المتطرفة وتسويقها وتعزيزها لدى العامة والشباب تحديد التحقيق أهدافهم المعادية للمجتمع والحياة والقيم والإنسانية بأساليب متعددة وبراقة. وقد أصبح الشباب يسير وسط تيارات متناقضة ومعلومات متجددة وحائر في تحديد خياراته وأولوياته واحتياجاته، مما كان لتلك الوسائل تأثيرات متباينة على سلوكياته وقيمه وأفكاره وتقاليده.

وينبغي التنويه أن العالم اليوم يشهد اخطر معارك المعلومات وحروب المفاهيم والمصطلحات وادلجتها أيضا بطرق متطرفة واقصائية فلم يتفق الغرب والشرق على معاني واحدة لكثير من المفاهيم التي باتت مصدرا للنشوء الصراعات والنزاعات والعنف والإرهاب الناتجة عن تفشي آفة التطرف. كما أصبح التطرف اليوم يصنع كصناعة السلع ويسوق كما تسوق الأسلحة الفتاكة للجماعات والشعوب المستهدفة التي تزخر بالتربة الخصبة لنموه وانتشاره بما يخدم مصالح تلك القوى الامبريالية. وإنني على يقين تام مما أقوله بان تفشي ظواهر التطرف في مجتمعاتنا تتحمل مسئوليتها أنظمة الدولة العربية، فلا يعقل للعقل العلمي أن يبرئ هذه النظم من التطرف لكون الاستبداد لا يمكن إلا أن يذكي التطرف.

والتطرف في ضوء تحليل وقائع مجتمعاتنا نرى أنها ظاهرة تجسد إستراتيجية عقلانية في صراع القوى بين النخب وأنصار السلطة ومعارضها من جهة، إذ تعمل

الأنظمة الاحتكارية للسلطة والجماعات المسيطرة في المجتمع على غرس بذور التطرف وعوامله وتنميته بين الجماعات كأيديولوجية وظيفية بأساليب متعددة من خلال الوعود أو الترغيب والترهيب أو الأعطيات والمنح والمساعدات المالية، كما تعمل على تجنيد بعض الجماعات المتطرفة كوسيلة فعالة لتعزيز الفرقة والصراع والانقسام بين الأفراد في المجتمع، وهذا ما يخدم مصالحها في الاستمرار بالسلطة واحتكار مكاسبها. من جانب آخر تعتمد تلك القوى على تجنيد بعض الأفراد والجماعات المتطرفة لاستخدامها كوسائل وأدوات جاهزة عند التنفيذ نحو تحقيق مكتسبات من عمليات التخريب أو الحروب أو التدمير أو شن حملات هجوم على خصوم أو اختلاق أحداث وأزمات داعية للإرهاب. وهذا ما يتكامل مع استراتيجيات تعزيز الحرمانين الاقتصادي والسياسي، وما يترتب عليهما من قهر وتهميش واضطهاد واغتراب ليصبح التطرف مخرجا انفعاليا لكل الجماعات التي تعيش تلك المشاعر القاسية لتجد ذاتها في دوامة التطرف.

مشكلة البحث:

تتمحور المشكلة البحثية في استخلاص العوامل المسؤولة عن نمو التطرف في المجتمعات العربية المعاصرة وكذلك الآثار التي تترتب عليه بعد الرواج غير المسبوق لظاهرة التي تكاد تؤرق حيات الأفراد في مجتمعاتنا العربية، خاصة بعد أن أصبحت مصدر خطر داهم لما خلفته من أثار مدمرة على مختلف البنى المجتمعية وتهديدها للأمن بأشكاله المختلفة الفكري والاجتماعي، والسياسي والثقافي، فيما تبدو العلاقة جدلية بين البنية المجتمعية التي لها دورا في نمو التطرف ممثلة بمتغيرات الوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعية والثقافي والسياقات التاريخية ذات الارتباطات بنمو الظاهرة، وبين مترتبات التطرف وانعكاساته على نفس تلك البنية، ويتعرض البحث للاشكالية المرتبطة بمفاهيم التطرف وتداخله مع مفاهيم أخرى لبيان ارتباطاته وأوجه الاشتراك والاختلاف، مع استطراد مظاهر التطرف وأشكاله وأنواعه، فيما يأخذ اللون السياسي والاجتماعي الصبغة الغالبة نظرا لقوة معطيات الواقع وتداخلها في إعادة إنتاج الظاهرة وإبرازها بشكل كبير كعوامل دافعة لنمو التطرف المعاصر.

أهمية البحث ومبرراته:

يكتسب هذا البحث أهميته من كونه بحث سسيولوجي جل تركيزه على تحليل معمق لتفاصيل عدة عوامل ساهمت في نمو التطرف في مجتمعاتنا العربية المعاصرة، وعليه تزداد أهمية البحث من كونه يقوم على المبررات الآتية:-

أولاً: ضرورة توضيح مفاهيم التطرف الراجحة بين عدة تيارات، ومحاولة تأصيل المفهوم بما يتوافق مع معطيات الواقع العربي، وإبراز عوامل نموه وانتشاره في مجتمعاتنا على الصعيدين النظري والعملي بما يساهم في استخلاص نتائج تفيد في الوقاية من مخاطره، الشيء الذي بات يشكل موضوعاً هائلاً وخصباً للدراسة الاجتماعية.

ثانياً: إن دراسة عوامل التطرف وحصرها مهمة للغاية لمختلف الجهات في ظل أزمات المجتمع المعاصر وإفرازاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعقائدية وتنامي الحاجة الملحة لمكافحته والوقاية منه وتحصين المجتمع ضده.

ثالثاً: رفع مستوى وعي المجتمع والشباب خاصة بمخاطره وبيان أسبابه وآثاره السيئة والمدمرة للفرد والمجتمع والدولة معاً وهذا يجعله عاملاً مهماً يفيد في تحصين الشباب والمجتمع، ومنعه من الانحراف وراء التيارات المعادية للمجتمع، والوقوع فريسة سهلة تحت تأثير أصحاب الفكر المتعصب والمتطرف والعدائي.

أهداف البحث وتساؤلاته:

تحدد أهداف هذا البحث بالوصول إلى إجابات علمية حول التساؤلات التالية:

- 1- ما المعاني الحقيقية لمفهوم التطرف؟ وما الجذور التاريخية التي في سياقها نبت التطرف؟
- 2- هل هنالك علاقة بين مفهوم التطرف ومفاهيم أخرى كالإرهاب والعنف والتعصب والانحراف؟ وما هي مظاهر التطرف وأشكاله وأنواعه الأكثر شيوعاً؟
- 3- ما هي العوامل الدقيقة المسؤولة عن نمو التطرف وانتشاره في مجتمعاتنا العربية المعاصرة؟

في مفهوم التطرف الفكري:

مجل المعاني اللغوية للتطرف: Extremism: رغم تعددها أجمعت على عدة قواسم مشتركة مرافقه لمعنى المفهوم نستعرض من هذه المفاهيم الآتي:-

التطرف في اللغة: هو الوقوف في الطرف، بعيداً عن الوسط، وأصله في الحسيات، كالتطرف في الوقوف أو الجلوس أو المشي، ثم انتقل إلى المعنويات، كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك (الخطابية وآخرون، 2014). كما يشير: "إلى حالة من التعصب للرأي تعصباً لا يعترف معه بوجود الآخرين، وجمود الشخص على فهمه جموداً لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا بفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عندهم، والأخذ بما يراه بعد ذلك أنصع برهانا وأرجح ميزانا

وبنفس السياق في قاموس Webster يعني التطرفية بمعنى الميل للذهاب إلى الأطراف وتعني التكلفة الزائدة عن الحد وكذلك الغلو والإفراط غير المنضبط أو الغريب في الأفعال والآراء (البرعى، 2002، ص41). ولأسباب إيديولوجية ارتبط مفهوم التطرف بالدين لما له علاقة بالحروب الدائرة بين الحضارات والمجتمعات. فالتطرف في الدين هو الفهم الذي يؤدي إلى إحدى النتيجتين المكروهتين، وهما الإفراط أو التفريط. والمتطرف في الدين هو المتجاوز حدوده والجافي عن أحكامه وهديه، فكل مغال في دينه متطرف فيه مجاف لوسطيته ويسره.

والتطرف الفكري اصطلاحاً: عرفه (إبراهيم، 1983، ص15) في أبسط معانيه، هو الخروج عن الوسط أو البعد عن الاعتدال أو إتباع طرق في التفكير والشعور غير معتاده معظم الناس في المجتمع، وهو كل خروج عن القواعد والأطر الفكرية والقانونية التي يرتضيها المجتمع. وأخر يعتبره التفكير المغلق الذي يتسم بعدم القدرة على تقبل أي معتقدات أو آراء تختلف عند معتقدات الشخص أو الجماعة التي ينتمي إليها ويمثلها (نعيم، 1983، ص56).

ويعرف التطرف الفكري على أنه: المبالغة في التمسك بجملة من الأفكار قد تكون سياسية أو دينية أو اقتصادية أو أدبية أو فنية تشعر القارئ بها بامتلاك الحقيقة المطلقة، ويخلق فجوة بينه وبين النسيج الاجتماعي الذي يعيش فيه وينتمي إليه، الأمر الذي يؤدي إلى غربته عن ذاته وعن الجماعة ويعوقه عن ممارسة التفاعلات المجتمعية التي تجعله فرداً منتجاً (البرعي، 2002، ص 17).

لذلك فالتطرف يعكس قناعات عقلية لجماعات أو أفراد بامتلاك الحقيقة والصواب دون غيرهم باستخدام أساليب متنوعة كالتهديد والعنف للإذعان وقبول الشروط والإملاءات لاتخاذ المواقف التي تتمشى مع عقيدتهم وفكرهم.

وتأسيساً على ما سبق يشتمل مفهوم التطرف على كل ما يؤدي إلى الخروج عن القواعد الفكرية والقيم والمعايير والأساليب السلوكية الشائعة في المجتمع، معبراً عنه بالعزلة أو بالسلبية المطلقة والانسحاب، أو تبني قيم ومعايير تناقض الواقع يلجأ المتطرف فرداً أو جماعة للدفاع عنها إلى العنف، وفرض الرأي بالقوة على الآخرين. لذا فإن التطرف هو مجاوزة الحد الذي تعارف عليه المجتمع وسار عليه. وقد يكون مصحوباً بميول تكفيرية واقصائية لمن يخالفه في المعتقد والفكر. واعتبارها ظاهرة ضارة في أي مجتمع وخطرها يتجاوز إلى العنف والإرهاب وانجراف فكري وسلوكي وأخلاقي.

وعليه يمكن تجريد المفاهيم النظرية للتطرف إلى المفهوم السلوكي ليصبح كل ما يترتب على أي نمط فكري دائري مغلق طوباوي، الممارسة بما يتعارض مع القيم الإنسانية، والقيام بأبشع أشكال السلوك الوحشي من قطع الرؤوس وحرق الأحياء واكل الأكباد وسبي النساء والأطفال وبيعهم في أسواق النخاسة وترويع العامة ونهب الأموال والممتلكات وسرقة البيوت والآثار وتدمير التاريخ الإنساني والاتجار بالبشر وحرق المساجد والمعابد والقيام بعمليات التفجير وتحريم المحلل والغلو في تدين الدنيا.

الجزور التاريخية للتطرف الفكري:

تعود الجزور التاريخية لظاهرة التطرف، إلى عهود زمنية قديمة لازمت الحياة البشرية طيلة اغلب العصور التاريخية؛ فمنذ بداية البشرية حين قتل قابيل شقيقه

هابيل، وبدء بالبرديات المصرية القديمة، حيث الصراعات الدموية إبان سيطرة الكهنة على الحكم في عصر الفراعنة وما ترتب من ذعر وقسوة وعنف.

وارتبط التطرف بعقليات أصحاب العقائد الدينية التي مرت بها المجموعات البشرية، من الأصولية المسيحية واليهودية والإسلامية، ومن مظاهر ذلك تشكل أول منظمة إرهابية عرفها التاريخ سميت ب"السيكاري" التي شكلها بعض المتطرفين اليهود في فلسطين في نهاية القرن الأول الميلادي بهدف إعادة بناء الهيكل. وتطرف ملك نجران (ذو النواس)، في الدولة الحميرية الثانية، اليهودي الذي حاول إجبار المسيحيين للدخول في الدين اليهودي، وعندما رفضوا أشعل النار فيهم، وأخذ يلقي كل من يرفض الاستجابة لرغبته الدخول في الدين اليهودي في الأخدود الذي حفره لهذه الغاية. وما قام به مجموعة شباب تسللوا إلى المسجد الحرام وحاولوا إدخال سلاح، وكذلك مبايعة المهدي المنتظر وحادثة عثمان بن عفان، فتلك حوادث لها ارتباطات دينية وسياسية معا (الشراي، 2007 ص 22) و(الحربي، 2011: ص 9).

وتطورت ظواهر التطرف وراجت انتشارا مع ظهور الثورات الاجتماعية، كالثورة الفرنسية الكبرى عام 1789م والثورة الروسية 1917م وما قبلها والثورة الصناعية وتوسع النظام الرأسمالي وإفرازاته ما أعقبهما من قمع واضطهاد للحركات الفكرية المثالية والفكرية والسياسية والشعبية، في مختلف البلدان التي شهدت الاستبداد السياسي على أيدي أصحاب السلطة وانظم الحكم. كما ارتبط التطرف بظهور العقائد الأرضية، والأفكار العنصرية، كما رافق ظهور أنساق ونظم اجتماعية وقرابية كالاختلاف بين المجموعات الاجتماعية على أسس شعبية وقبيلة وحزبية وفئوية وطبقة وعرقية وقومية ونحو ذلك.

وفي العصر الإسلامي، وثق المؤرخون أحداثا تؤكد التطرف الديني كفرقة الخوارج التي انبعثت منها العديد من الحركات المنشقة، بعد حادثة التحكيم بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان عام 37هـ، عندما كفرت هذه الفرقة الإمام علي لقبوله التحكيم مع معاوية الذي كفروه، لخروجه على الإمام -رضي الله عنه-، مروراً بالقرامطة الذين كانوا يعتقدون على القوافل، وينشرون الرعب بين الناس، وقد قامت

هذه الفرقة بغزو مكة، والاعتداء على الحجاج، وانتزاع الحجر الأسود ونقله إلى عاصمتهم (مدينة هجر)، وبقي هناك لمدة اثنين وعشرين علما(الحربي، 2011).

وتأسيسا على ما سبق، أن قضية التطرف التي تعيشها مجتمعاتنا اليوم ليست وليدة الساعة إنما تعود إلى جذور تاريخية بعيدة ضاربة بأعماق التاريخ القديم واستمرارها لوقتنا الحالي وغالبا ما تبرز بشكل جلي عند اصطدام المجتمع التقليدي بقضايا الحداثة الفكرية والاقتصادية والعلمية والشرعية، وعند ظهور الأيديولوجيات أحدثت شرخا في الخطاب العربي الإسلامي وانقسامات في الأمة كانت عواقبها مدمره. واقترن تطور التطرف بظهور الجماعات (الراдикаلية) التي نشأت في المجتمعات العربية ذات الإيديولوجية العقدية المغلقة والفكر الدائري الطوباوي الذي لا يفتح المجال للنقاش والحوار مع الآخر، بل وتقدس هذه الجماعات برامجها وأهدافها التي قد تتعارض بدرجة كبيرة مع متغيرات الواقع المعاش، وإيمانها استخدام وسائل العنف والإرهاب للوصول إلى التغيير، ومواقفها معارضة بشدة لكثير من قضايا المجتمع منها ما يأخذ إما أقصى الشمال ومنها ما يأخذ أقصى اليمين سوا من الديمقراطية، أو من بعض التيارات الفكرية الأخرى كالعلمانية، وانقسام الأمة، والحريات العامة والفردية، والتعددية السياسية، وكذلك الاجتماعية، ومن قضية المرأة وتأكيد دورها في المجتمع العام، وعدم إيمانها بالحوار والتواصل مع الحضارات والشعوب الأخرى ونصب العداء المطلق للآخر.

علاقة مفهوم التطرف الفكري ببعض المفاهيم:

هناك تداخل في بعض المفاهيم المرتبطة بالتطرف والتي يعتقد البعض أنها مترادفات لمفهوم واحد، ولا بد من طرح لبعضها للوقوف على مدى ارتباطها بمفهوم التطرف الذي هو موضوع الدراسة الحالية:

التطرف والغلو: يعتبر التطرف والغلو مصطلحان مترادفان في المعنى حيث أن التطرف والغلو كلاهما مجاوزة حد الاعتدال والغلو يطلق على الميل والانحراف ومن هنا، الغلو والتطرف بمعنى واحد، كما أن كلاهما يعد تشديدا وخاصة في أمور الدين من حيث

إدخال ما ليس بنصوص دينية واعتبارها من أصول الدين أو تغيير في تفسير بعض النصوص الدينية بحيث تخدم فكرته (عبد العال، 2015، ص3).

ويرى الباحث أن الغلو والتطرف مترادفان إذا اقترن بكل منهما بالأمور الدينية، أما التطرف فقد يختلف عن الغلو إذا لم يقترن بأمور الدين فقط بحيث يمكن أن يكون تطرفاً سياسياً أو فكرياً أو اجتماعياً وفي هذه الحالات لا يقترن بالغلو ويصبح اعم واشمل.

التطرف والتعصب: التعصب من المفاهيم المتداخلة مع التصلب والتطرف والغلو والانحراف والعنف والعدوان، إذ يشير (سليمان، 1993، ص27) أنه اتجاه مصحوب بكرهية توجه لجماعة ككل واتجاه شخص معين على أنه أحد أعضاء هذه الجماعة. ويرتبط التطرف بالتعصب إن التطرف وفقاً للتعريفات العلمية يرتبط بالكلمة الإنجليزية Dogmatism أي الجمود العقائدي والانغلاق العقلي. والتطرف بهذا المعنى هو أسلوب مغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أي معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة أو على التسامح معها.

ويؤكد "هاردنغ" أن التعصب انحراف عن المنطق والمعايير العقلانية للسلوكيات التي يرضيها المجتمع، ويتمثل في النمطية والجمود ومحاربة التغيير وإصدار الأحكام العاجلة ورفض التعديل في الرأي حتى مع ظهور دلائل تؤيد هذا التغيير كما يرفض الاعتراف بالفروق الفردية (عبد الله، 1989، ص54). بينما ترى (الجندي، 1989، ص65) أن الشخص المتعصب يميل إلى من يقتنع بأفكاره ويبررها، لدرجة أن هذه الأفكار تصبح أهدافاً من حد ذاتها يكرس لها كل جهده وطاقته لمحاولة إقناع الآخرين بها حتى لو تطلب الأمر استعمال القوة والعنف.

كما تعد الشخصية المتطرفة شخصية متعصبة لا تتقبل تغيير رأيها أو تعديله، ولا تعترف للآخرين حتى بمجرد التعبير عن آرائهم التي تعارض اعتقاداتها، مع التشدد والخشونة في الرفض المطلق للآخر. وفي هذا الصدد أن كل متطرف متعصب بينما ليس كل متعصب متطرف، فالتعصب مفهوم ملازم للتطرف فهو الآلية التي يستخدمها

المتطرف في فرض رأيه ومحاولة إقناع الآخرين به، بينما يمكن القول بأن التعصب لا يعد تطرفاً إلا إذا اقترن بفكر معين أو معتقد أو جماعة تتبنى أفكاراً مخالفة.

التطرف والإرهاب: هناك تداخل بين مصطلحي التطرف والإرهاب حيث يدعى كل منها السمو الأخلاقي وامتلاك الحقيقة المطلقة، وعندما يتطور التطرف وبصحبه أى عنف من نوع ما يمكن القول بأنه أصبح إرهاباً بشكل واضح (طه ومحمود، 2001، ص6).

فالتطرف هو البذرة الأولى للإرهاب والإرهاب هو التطور الحادث عند الجماعات المتطرفة عندما تحاول فرض فكرة معينة والترويج لها وتقابل بالصد والتمهيش فتحاول إيصال الفكرة عن طريق العنف والإرهاب الجسدي والفكري والإلكتروني في الوقف الراهن.

التطرف والانحراف والجريمة: يختلف مفهوم التطرف عن مفهوم الانحراف والجريمة فالعلاقة بينهما علاقة عكسية، حيث أن التطرف هو حركة في اتجاه القاعدة إلا أنها تتجاوز الحد المتعارف عليه في المجتمع، أما الانحراف والجريمة فهي حركات عكس ما هو متعارف عليه اجتماعياً وهي الخروج عن السلوكيات الاجتماعية بإتيان سلوك أو تصرف مناقض لها (رشوان، 1997، ص15).

وتتفق مفاهيم كل من التطرف والانحراف والجريمة في بعض الأمور وهما كما أوردها كل من (رشوان، 1997، ص16) (الجندي، 1989، ص66) (سليمان، 1993، ص31) كالآتي:

- 1- الانحراف دائماً يؤدي إلى نتائج سلبية بينما التطرف يمكن أن يؤدي إلى نتائج سلبية أو إيجابية.
- 2- يصعب اكتشاف المتطرف لأنه يبدأ من القاعدة الاجتماعية إلى أن يتجاوز الحد المقبول أما المنحرف فيبدأ عكس اتجاه القاعدة مما يسهل اكتشافه.
- 3- يبدأ المتطرف بسريه في الاتجاه الصحيح للقاعدة الاجتماعية، أما المنحرف فيبدأ علانية في عكس اتجاه القاعدة الاجتماعية.

مظاهر التطرف الفكري:

يتفق جميع المفكرين المختصين في دراسة المجتمع والظواهر الاجتماعية على اعتبار التطرف مرضاً ووباءً معدياً خطيراً على الفرد والمجتمع معاً ويتناقض مع قيم الإنسانية وفضائل العدل والتسامح والتقدم والتعايش. وإن للتطرف ألوان وأشكال تصنف في مجالات شتى ولا يقتصر فقط على المجال الديني كما يظن البعض أو كما روج للمفهوم إيديولوجياً ولجعله أكثر تداولاً على الصعيد العالمي بل يمتد ليشمل جميع ممارسات الحياة ومجالاتها؛ فقد يكون في الفكر أو في السلوك أو في الدين أو في مجال الأسرة أو في مجال السياسة أو الاقتصاد أو في انساق ثقافة المجتمع الأخرى؛ فقد نجد مظاهر التطرف في الأسرة عندما يكون الأب ذا شخصية متسلطة لا يقبل رأي أحد من حوله، ويتشدد لدرجة التطرف في تعاملاته مع أبنائه أو مع زوجته ويلجأ إلى العنف كوسيلة لتحقيق أهدافه أو فرض ما يصبو إليه بوسائل محملة بالعداء والقهر والإذلال والغلو في أساليب التربية المتبعة، كالقهر والقسوة وسلب إرادة الأبناء أو الزوجة. وقد نجد المدرس متسلطاً قامعاً لطلابه لا يقبل المناقشة في رأي له ويدعي الحقيقة المطلقة. وقد يكون الغلو في المجال السياسي من خلال رفض جماعة سياسية الحوار مع غيرها، أو التمسك بأفكار لا تقبل الجدل والحوار واتخاذ الدكتاتورية نمط الحكم والتعامل مع الرعية.

ومن أهم المظاهر التي يمكن من خلالها الحكم على شخص ما أو جماعة ما بالتطرف كما حددتها (مديرية الإفتاء في القوات المسلحة الأردنية، 2006، ص 8 - 30) ما يلي:-

- 1- الشخصية المتطرفة لا تعترف برأي آخر غير رأيها، حتى وإن اتفق الرأي الآخر مع مقاصد الشريعة أو النصوص الشرعية أو الإجماع الفقهي والديني.
- 2- إلزام الناس بما يعتقدون، ولو تطلب الأمر إلزامهم بالتهديد والعنف والقوة.
- 3- لا يعترف بالوسطية أو التساهل في التعامل حتى مع غير المسلمين أو حديثي العهد بالإسلام الذين أمر الله تعالى ورسوله الكريم بحسن معاملتهم ولين الجانب معهم.

4- تغيير أسلوب الدعوة عما قال عنه تعالى (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن).

5- سوء الظن الدائم بالناس واقتراض سوس النية منذ البداية حتى وإن كان على غير صواب.

وعند تحديد خصائص الفكر المتطرف كظاهرة اجتماعية نجد له عدد من الخصائص والسمات التي تميزه عن غيره من الظواهر الاجتماعية كالغلو والتشدد، والتكفير للأفراد والجماعات والأنظمة وازدراء عامة الناس ومن يخالف رأيهم (بلكا، 2010، ص2). ومن مظاهر التطرف الفكري العزلة الاجتماعية فهو يعتبر من لا يوافق الرأي من أفراد المجتمع ليس على صواب ويجب البعد عنه وتجنبه، بل ويمكن الخروج عليه أن أمكن ذلك.

وتجدر الإشارة إلى حقيقة مهمة بشأن تفشي ظواهر خطيرة كالتطرف والإرهاب في مجتمعاتنا العربية والإسلامية اليوم بشكل غير مسبوق -وتتحمل مجمل الشعوب العربية نتائج هذه الآفات الفتاكة- أن هنالك استقصاء مبطن لقوى الهيمنة الغربية وفي المقدمة الولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية معافي تغذية بذور التطرف وكذلك الإرهاب في مجتمعاتنا المعاصرة. قد بذلت جهودا كبيرة في سبيل ولادة ظواهر التطرف وجماعات التطرف والإرهاب في البلاد العربية وفق أجندة تعود لصالح تلك القوى الامبريالية، وقد أجادت صناعة التطرف كما تصنع الوسائل المادية، وتسويقها عبر المجموعات البشرية كم تسوق بقية السلع فالتطرف بات سلعة ربحية تصنع صناعة في مطابخ الفكر الامبريالي الغربي.

فقد استطاعت تلك القوى مجندة مختلف وسائلها من تحقيق المشروع الذي يهدف إلى تشويه صورة الإسلام عالميا من خلال خلق ومساندة جماعات وتنظيمات إرهابية تدعي الإسلام كالقاعدة وجمعة النصرة وداesh (تنظيم الدولة) كمنايع للتطرف والإرهاب لضرب العرب والمسلمين وضرب الإسلام وتشويهه ليظهر كدين يدعو للقتل والعنف والاستبداد والظلامية والجهل والبربرية وقد مارست تلك التنظيمات التي تلقت

التدريب والمال والسلاح من تلك القوى الأمريكية والصهيونية ، مختلف أساليب وأشكال الإجرام والإرهاب والتطرف بحق الأفراد والمؤسسات والمجتمعات وفي مختلف البلاد العربية تدميرا وقتلا وسفك الدماء وتهديد وتجريح وتحريم وهذا هو التطرف بعينه والإرهاب المنظم باسم الإسلام من أعداء الإسلام.

وان الفئات المتطرفة تحركهم عقيدتهم الراسخة وآراء من يتولون القيادة منهم، حتى وإن كانت آرائهم متعارضة مع النصوص الشرعية أو مع الصالح العام وأن المتطرف في الغالب تطغي عليه العزلة الاجتماعية والانقطاع عن حوله، ويعيش بشعور طوباوي مغلق داخل إطار ما يعتقد هو وجماعته، كما يرى الباحث أن غياب الدور الأمني والإعلامي والتوعوي والإصلاحي يعد من مسببات تفشي هذه الظاهرة، التي تزايدت بشكل غير مسبوق من الظهور والانتشار الكبير والسريع عن طريق استغلال وسائل التواصل الاجتماعي التي باتت اعقد ثورة تواصلية في العصر الحديث. النتائج التي أكدتها معظم الدراسات الامبريقية لوجود علاقة قوية بين سرعة وسهولة تمدد نمو التطرف بسبب التطورات الهائلة في مجال تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديث كدراسات كل من (Al-Khataibeh,2019) و(المعيزر ، 2015: 634).

أنواع التطرف وأشكاله:

يخلط الكثير من الباحثين بين أنواع التطرف وأشكاله، فممنهم من لا يفرقون بين أشكال التطرف ويكتفون السرد العام دون التطرق لأنواعه، ومن ناحية أخرى تنصب اغلب التحليلات لتطرف وحتى التعريفات ضمن إطار ديني وعقائدي، وإن كان التطرف الديني والغلو والتشدد في أمور الدين هو شكل من أشكال التطرف، وسوف نستعرض بإيجاز لبعض الأنواع المنتشرة في البلاد العربية حتى يتم التفريق بين التطرف الفكري وبين الأشكال الأخرى للتطرف على النحو التالي:

أولاً: التطرف الفكري: يوصف بأنه مجاوزة الحد في الاعتدال والخروج عن المؤلف بل ويرتبط أيضاً بالجمود العقلي (الدوجماتيه) والانغلاق الفكري، وهو في الواقع جوهر الاتجاه العام الذي تتمحور حوله كل الجماعات المسماة المتطرفة، إذا أن التطرف بهذا

المعنى هو أسلوب مغلق للتفكير والذي يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات أو آراء تخالف معتقدات الشخص أو الجماعة (عبد الستار، 1992، ص191) وقد برز التطرف الفكري في وقت مبكر من تأريخ المجتمعات البشرية سواء في منظومتها الفكرية أو في وسائلها الحياتية كون في أسباب التطرف الفكري ما ليس رهنا بالتركيبة الاجتماعية المعقدة وإنما يتجسد في معطيات البيئة كظاهرة اجتماعية تتسع وتضيق حسب عوامل نشوئها وحجم تفاعل هذه العوامل وتأثيرها. ولم يقتصر ذلك على صعيد معين من أصددة الحياة وإنما يكاد يشمل بالفعل جميع الأصددة لأن التطرف الفكري يتحقق أينما تحقق سببه وعلى أي صعيد (المؤيد، 2012، 3).

والتطرف حالة من التعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه بوجود الآخرين، وجمود الشخص على فهمه جمودا لا يسمح له برؤية نافذة للحوار مع الآخرين، ولا لموازنة ما عنده بما عندهم ما أرجح ميزانا لذا يعتبر البداية الأولى لأنواع وأشكال التطرف الأخرى فهي ما إلا مجرد تطورات للفكر المنحرف إذا تم ربطها بمجالات أخرى (Al-Khataibeh, and al 2014).

ثانيا: التطرف الديني: إن التطرف الديني له اتجاهين كما ذكر (الصاوي، 1993، ص5) وهما: الاتجاه المغالي والمتشدد في أمور الدين والعبادات والعسر في ممارسة شعائر الدين وإلزام من حوله بذلك. أما الاتجاه الثاني فهو الاتجاه المفرط والمتسيب في أمور الدين أيضا ويعني التنطع في أداء العبادات الشرعية أو مصادر اجتهادات الآخرين في المسائل الاجتهادية والزيادة المفرطة على العبادات الشرعية وتجاوز الحدود الشرعية في التعامل مع المخالف لها، وأيا كانت اتجاهات التطرف فهي جميعها تعنى ارتباط الانحرافات بالدين زيادة أو نقصاناً فالتطرف هنا مجاوزة الحد الأعلى للشيء أو الحد الأسفل أيضا. وأطلق العلماء قديما كلمة التطرف الديني على القائل المخالف للشرع وعلى القول المخالف للشرع وعلى الفعل المخالف للشرع. فهو فهم النصوص الشرعية فهما بعيدا عن مقصود الشارع وروح الإسلام فالتطرف في الدين هو الفهم الذي يؤدي إلى إحدى النتيجتين المكروهتين، وهما الإفراط أو التفريط. والتطرف في الدين هو المتجاوز حدوده والجافي عن أحكامه وهديه، فكل مغال في دينه متطرف فيه مجاف لوسطيته ويسره

(عبد الرازق، 2004، 5). وينسحب المفهوم الديني على الاعتقادي وهو الاعتقاد بآراء خاصة متشددة عقائدياً من خلال التكفير والهجرة واتهام بعض الدول أو الأنظمة بأنها كافرة وهذا لا يجوز مادام هناك مسلمون، وتقام فيها شعائر الإسلام ومن هذه الجماعات القديمة: القدرية والجهمية والباطنية، والحديث من هذا النوع جماعة التكفير والهجرة وكذلك الجماعات الجهادية والقاعدة وداعش وغيرها.

ثالثاً: التطرف السياسي: إن عبارة التطرف لغويا تعني الذهاب إلى أقصى اليمين أو أقصى اليسار مصحوب بعدم الاعتراف بالآخر قطعياً في المذهب أو الفكر أو الفلسفة أو الاعتقاد، وتتلور هذه النزعة المتطرفة في المجال السياسي من خلال الرفض القطعي لمبادئ الديمقراطية باعتبار الشخص أو الجماعة تتبنى وجهه نظر تقوم على الاعتقاد الراسخ بأنها يمتلك الحقيقة المطلقة وكل من يخالفه على خطأ، ولذلك فهو يسعى إلى فرض رأيه بطرق مختلفة باختلاف وضعيته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فإذا كان يمتلك السلطة استغل أجهزتها لفرض رأيه وقمع من يخالفه الرأي، وإذا عجز عن ذلك لجأ إلى العنف الجسدي أو اللفظي كالتهمك والاستهزاء أو العنف أو التحريم والتجريم أو غيرها من الأساليب المختلفة.

وينسحب التطرف في هذا المجال السياسي إلى الخروج عن القانون والدستور السائد في مجتمع ما، في حال كان القانون من صنع أفراد يمثلون المجتمع بفئاته وطبقاته، ولكن المخالف للقانون كمن يرتكب جوماً معيناً لا يعتبر متطرفاً سياسياً فالتطرف سياسياً هو من لا يقر بالقانون ذاته ولا يعترف به، ويتصرف على أساس أن هذا القانون أو الدستور لا ينطبق عليه ولا يحترم سيادة القانون ويتجاهلها تملماً (Philip . M et al , 2013, p30). وليس هناك مذهباً دينياً كان أو لا دينياً متطرفاً في ذاته، وإنما يصيبه التطرف إذا بلغ بمعتقديه الأمر إلى الاعتقاد بأنهم على حق دائماً وأن كل من يخالفهم الرأي على باطل، وبالتالي فإن كل مذهب أو أيديولوجيا مهددة من داخلها بالتطرف، وإن كانت منطلقاتها غير متطرفة فالفكر القومي إذا دفع للحد الأقصى وقع في العنصرية وبالتالي في التطرف، والحزب الديني إذا احتكر الدين وقع في الإقصاء والإقصاء تطرف، والاشتراكية إذا دفعت إلى حدها الأقصى وقعت في الشيوعية

والشيوعية تطرف، والديمقراطية إذا دفعت إلى حدها الأقصى وقعت في الديكتاتورية والديكتاتورية تطرف، وكذلك المنظمات الحقوقية إذا دافعت عن جانب معين بشكل بالغ وقعت في التطرف، وكذلك كل الأنظمة التي تحمل معاني سياسية (الفضلاوي، 2011، 2). ومن ملامح التطرف والإرهاب الذي يمكن إدراجه ضمن الإطار السياسي ما أعقب الثورة الفرنسية من حملات قمع وتنكيل بأنصار الملكية وزعماء الثورة ومقتل عشرات الآلاف على يد النظام السلطوي القمعي، وما ساد المجتمعات الأوروبية وروسيا خلال القرن التاسع عشر من استبداد متعدد الألوان ونمو ظواهر التطرف والإرهاب وسط تلك الأزمات السياسية التي كانت تهدف إلى إحداث التغيير السياسي، وكذلك ظهور التيارات الراديكالية من فوضوية واشتراكية وقومية ورأسمالية، والمنظمات الشعبية النضالية (وهبان، 1915:ص145)

رابعاً التطرف الاجتماعي: وهو الخروج على المفاهيم والأعراف والتقاليد والسلوكيات الاجتماعية العامة، باعتباره انحراف سلوكي فيه أقصى قدر من محو الآخرين وعدم اعتبارهم لدى صاحب أي فكر تغيري يتناقض مع معايير وقيم الجماعة، فهذا النوع من أنواع التطرف يتحدد بالبيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها هؤلاء الأشخاص وتلك الجماعات (joe , 1975, p20). لذا فهو كل غلو وإسراف بعيداً عن التوسط والمبالغة في التعامل مع القضايا الاجتماعية التي تواجه الفرد في حياته اليومية، والتطرف الاجتماعي في الغالب له جذور نفسيه وهو بذلك مرادف للتعصب واحد مظاهره وكذلك من مظاهره الجمود والانغلاق في الأفكار والمعتقدات وعدم التسامح مع الآراء والمعتقدات المخالفة، وكذلك التمسك بالاستجابات الاجتماعية الفاقدة للمرونة والتغيير والتعديل تجاه المواقف والقضايا الاجتماعية (دافيفوف، 2000، 211).

والتطرف وفقاً للمفاهيم الثقافية والأيدلوجية قد يتحول من مجرد فكر إلى سلوك ظاهري أو عمل سياسي، يلجأ عادة إلى استخدام العنف كوسيلة إلى تحقيق المبادئ التي يؤمن بها الفكر المتطرف، أو اللجوء إلى الإرهاب النفسي أو المادي أو الفكري ضد كل ما يقف عقبة في طريق تحقيق تلك المبادئ والأفكار التي ينادي بها هذا الفكر المتطرف. وهذا ما نتج حينما رصدت الجهات الأمنية في المملكة العربية السعودية نشاطاً

متزايدا للمتطرفين على شبكات التواصل الاجتماعي فأوقفت متطرفين وأغلقت مواقعهم وتعاملت بمنتهى الحزم معهم إيماناً بخطر الظاهرة.

خامسة: التطرف الدولي: وهو إحداث الذعر والخوف في أراضي دولة أخرى بأساليب مختلفة: كتفجير القنابل، وهدم المباني، وقطع الأشجار، وقصف المنشآت، أو المؤسسات العامة، واستخدام القوة بأساليب بشعة وهمجية ضد المواطنين تحت مبررات مزيفة، ونحو ذلك من الأضرار سواء من الأفراد أو الدولة (الحربي، 2013، 48) وغالبا ما يمارس هذا النوع من قبل الدول الأقوى تجاه الدول الأضعف.

عوامل نمو التطرف :

أسباب كثيرة وعديدة ساهمت في تفشي التطرف في مجتمعاتنا العربية، رغم اختلاف طبيعتها وأنواعها وقوتها وتأثيرها من مجتمع لآخر ومن أهم البواعث والأسباب المؤدية لذلك ومنها:

العوامل العقائدية (الدينية) للتطرف:

يضيف البعض أن التطرف الديني باسم الإسلام ناتج عن سوء فهم وتفسير نصوص الإسلام عند بعض من الفئات المسلمة التي وقعت في انحباس عقدي انعكس على ضيق أفق التفكير والإبداع في شتى المجالات؛ فانتشرت الأفكار المتطرفة التي تحرم المساواة وحرية الاعتقاد والأشخاص والتعبير وحقوق المرأة وقيم التسامح وحوار الأديان والتعددية والاختلاف وسمو القانون وقضايا كثيرة. فسوء التعامل مع النصوص الشرعية كالجمود على ظواهرها من غير النظر إلى مقاصدها وروحها وعللها وأعراضها (والخوارج، أنموذجا) وتفشي البدع والتكفير والضلال والتعصب للمذاهب والأحزاب والجماعات أو الطريقة والشيخ تعتبر أبرز مسارات التطرف الديني. علما أنه ليس هناك دين يدعو للتطرف والعنف ولكن الانقسامات التي شهدتها العالم الإسلام في العصر الحالي، وظهور التيارات الفكرية المختلفة والمتعددة والتي كانت من أسبابها الجهل بالعتيدة وعدم الفهم الصحيح لمقاصد الشريعة الإسلامية، وظهور التيارات المعاصرة التي تسيطر على الاتجاهات الفكرية في الوقت الحالي خاصة التيار العلماني الذي يتطلع

أصحابه إقامة الحياة الاجتماعية والمدنية بعيدا عن الحياة الدينية، ويسعى إلى التخلص من الموروثات والتقاليد حتى يمكن إقامة حياة اجتماعية مدنية سليمة ومتقدمة. والتيار المحافظ ويرى أنصاره أن الحضارة والتحضر تقضي على العلاقات الاجتماعية وتعمل على الانقسام والتفكك الاجتماعي، فالعادات والتقاليد والأصول الدينية والتراث الديني هي المحدد والرابط الأساسي للعلاقات بين الأفراد والجماعات ولمنوال الأمة وينبغي سيادته. وإثناء الصدام بين التيارين مكن انبعث التطرف بسبب اقتناع كل منهما بفكره دون قبول الآخر.

من جهة أخرى ليس تعدد الفرق الإسلامية هو المشكلة في حد ذاته وإنما السبب يكمن في أن كل فرقة من هذه الفرق تنصب نفسها حكما على بقية الفرق، وترى أنها المسئولة عن تحديد العلاقات والروابط الاجتماعية، وأنها الوحيدة المنوط بها التحدث في أمور الشرع وأنها هي الأصول والأصلح لتولى أمور الدين عن بقية الفرق، وهذا ما شأنه أن يحدث صراعا فكريا بين الأفراد مما يحولهم إلى الوقوع في مزالق التطرف.

العوامل الاجتماعية للتطرف الفكري:

ويرى البعض أن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة العربية، والثورات النفطية والاقتصادية وظهور المدن الكبرى وتدني المستويات المعيشية في المناطق الريفية إلى هجرة الكثير من سكان الريف إلى المدن مما أدى إلى ظهور المناطق الحضرية والمجتمعات الهامشية على أطراف المدن، والتي يلاحظ في الفترة الأخيرة أنها أصبحت مأوى للجماعات المتطرفة (القعر، 2003، ص37). لذلك تؤكد الدراسات الاجتماعية أن هناك علاقة وطيدة بين الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والتطرف، حيث أن الغلاء الحاصل في معظم دول العالم وانتشار البطالة في ظل ثبات الدخل وزيادة عدد خريجي الجامعات والمعاهد وارتفاع معدلات البطالة وتفشي الفقر والتفكك، اذ تشكل التربة الخصبة التي تستغلها الجماعات المتطرفة في جذب أنصار ومؤيدين لهم من خلال توفير حياة كريمة لمثل هؤلاء شريطة أن يتبعوهم ويناصروهم إن لزم الأمر (الظاهري، 2002، ص 64).

ومن النظريات التي فسرت الأسباب الاجتماعية للتطرف نظرية الحرمان النسبي والتي انبثقت عنها بعض النظريات الأخرى من وجهة نظر علماء الاجتماع والسياسة مثل نظرية تزايد التوقعات واتساع الفجوة بين الرغبات والإمكانات المتاحة مما يؤدي إلى ظهور التجمعات السياسية والدينية والتي تمثل الجماعات المتطرفة جزء منها. فالتوترات الاجتماعية المواكبة لتحديث وظهور مشكلات ومظاهر ظلم وتفشي الاغتراب، وتطور وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي ساهمت جميعها في تطور ظاهرة التطرف في المجتمعات المعاصرة (وهبان، 2015: 170).

وهكذا تصبح الأسباب الاجتماعية من الأسباب التي أدت إلى ظهور التطرف من حيث غياب الأنظمة الاجتماعية المنوطة بها توجيه وإرشاد الشباب الذي يتميز في بعض فترات عمره بالتمرد على أي شيء ولأي سبب وخاصة في المرحلة الجامعية التي تمثل مرحلة النشاط والحيوية والانفعال والرغبة الجامحة نحو التغيير والتي من أهم مظاهرها التمرد على كل ما لا يروق لهم. في ظل غياب العدالة الاجتماعية وانتشار السلوكيات السيئة التي تتنافى مع القيم والموروثات الاجتماعية والثقافية، وغياب دور الأسرة وانتشار تطبيقات الشبكات الاجتماعية على الإنترنت وإفرازاته السيئة، وغياب دور التنمية الاجتماعية والفكرية، أدت إلى تفشي ظاهرة التطرف الفكري والأخلاقي بين الشباب.

العوامل التربوية للتطرف الفكري:

ومحور هذه الأسباب يعود إلى القصور في دور المؤسسات التربوية التي تقوم على رعاية المراحل العمرية الأولى للفرد مما ترك خطراً حقيقياً ضمن أسباب تفشي هذه الظاهرة حيث يرى (الظاهري، 2002، ص 60-61) أن التربية ونقص الثقافة الدينية في مناهج التعليم من المرحلة الأساسية وحتى المرحلة الجامعية في معظم البلاد العربية من الأسباب الهامة في تفسير ظاهرة التطرف الفكري، فهي حتى تحتوي على القدر الأدنى من الثقافة الإسلامية من عبادات ومعاملات ليعرف الفرد حتى على الأقل ما معلوم من الدين بالضرورة، وبذلك الغياب اللوعي الديني والتربوي تشكل الشخصية المتطرفة والتي يعاني منها المجتمع بصفة عامة.

أن للأسرة دور كبير في تربية الطفل وتنشئته هي التي تشكل ملامح شخصيته وأسسها في سنوات عمره الأولى لتبقى معه مدى الحياة، وهذا ما يؤكد علماء النفس والتربية. وفي ظل تراجع دور الأسرة وتزايد التفكك الأسري الذي تعاني منه المجتمعات العربية أدى إلى تدني دورها الوظيفي في تربية الطفل وتنشئته بشكل سليم، فكل فرد من أفراد الأسرة وعلى رأسهم الأب والأم تشغله أمور أخرى من تلبية لاحتياجات الأبناء والقيام على رعايتهم والاهتمام بالأمور المادية مما طغي على الدور التربوي الأساسي للأسرة.

ويرى الباحث أن الدور التربوي مهم وفعال في مثل هذه الظواهر لأن أساسها اجتماعي، ولكن لابد من تفعيل دور الأجهزة الأمنية والإعلامية إلى جانب مؤسسات التنشئة والتربية، كما لا يجب إغفال دور الأسرة التي تمثل اللبنة الأساسية في تنمية شخصية الطفل وتحدد ما يمكن أن يكون عليه في شبابه وشيخوخته والبدء منها كنقطة ارتكاز.

العوامل السياسية للتطرف الفكري:

تعد الأسباب السياسية المؤدية لنمو ظاهرة التطرف في العصر الحالي وخاصة في ظل الثورات العربية المتتالية وتنامي الصراعات الدولية وتعدد السياسات العدوانية الممنهجة بين دول العالم والأقطاب التي يتكون منها. وقد عالج (الحربي، 2013، 54) دور العوامل السياسية في تطور ظواهر التطرف في المجتمعات العربية مقسماً ذلك بالآتي:-

أولاً: الأسباب السياسية الخارجية: وتشتمل على التناقض الواضح بين ما تنص عليه ميثاق النظام السياسي الدولي من مبادئ ومثاليات سياسية رفيعة، وبين ما تنم عنه سلوكياته الفعلية والتي ترقى إلى مستوى التنكر العام لكل تلك القيم والمثاليات، وافتقاد النظام السياسي الدولي للعدالة في الرد على المخالفات والانتهاكات التي تتعرض لها بعض الشعوب (وهبان، 2015: 170)، تحديدًا مما تتعرض له الشعوب العربية من جور واضطهاد سياسي وعسكري. وإعلان أمريكا قيام حرب شاملة ضد العرب تحت ذريعة محاربة الإرهاب، بعد أحداث 11 سبتمبر والحروب التي شنتها في كثير من البلدان

الإسلامية أبرزها غزو العراق واحتلاله وتدميره تحت ذرائع لا يقبلها عقل أو منطق، وانحيازها إلى الطرف الإسرائيلي عند التعامل مع العرب؛ مما ساهمت تلك المعطيات تأجيج مشاعر العداء والكراهية في العالم العربي ضد الولايات المتحدة وضد كثير من الأطراف الغربية، وتعزيز حالة الاحتقان النفسي لدى كثير من العرب والمسلمين.

ومن المؤكد لسياسات الهيمنة الأجنبية والإرهاب الأمريكي-الإسرائيلي الممارس ضد العرب والمسلمين من المصادر الرئيسة لغذاء ما يعد تطرفا فكريا ودينيا وإرهابا. إضافة إلى عوامل الغزو والاضطهاد الاستعماري للبلاد المستضعفة، والدعم الأمريكي لانتشار السلطة الدينية لمقاومة المد الشيوعي، ومحاولاتها توطين وقيام دولة إسرائيل والحروب التي ارتكبتها أمريكا ضد العراق وسياساتها الاستغلالية والدموية والتدميرية للبلاد العربية وسلب إرادتها السياسية وتجنيدها لتعمل وفق المصالح الغربية دون مبررات أدت إلى ظهور تنظيمات وجماعات فكرية تميل إلى التطرف ورواج الفكر المتطرف (Al-Khataibeh, 2019) و(الحارثي، 2011)

ويرى (عبيد، 1994، ص130) أن السياسات الدولية التي تتبناها الأمم المتحدة أوجدت مناخا ساعد على ظهور الجماعات المتطرفة في العالم أجمع، ومن أسباب ذلك؛ تدني دور الأمم المتحدة في القضاء على مسببات الصراع الطائفي والمذهبي والعنصري السائد في كثير من دول العالم، وعدم التعاون الدولي الجاد في القضاء على التطرف، وعدم تطبيق الحلول المقترحة والتي تحصل على أغلبية عند التصويت لها.

ثانية العوامل السياسية الداخلية: لعل غياب الديمقراطية والحرية والتعددية السياسية، وتدني مستوى المشاركة السياسية الشعبية، واستبعاد الشباب في مختلف الطبقات وحرمانهم من المشاركة في اتخاذ القرارات التي تمس حياتهم، والافتقار إلى قدر من الحرية والتعبير، وعدم وجود تداول حقيقي للسلطة، إذ تشكل البيئة الملائمة لنمو التطرف. وكذلك التحولات السياسية ونمو الجماعات والتيارات الراديكالية جلبت مظاهر التطرف (وهبان، 2015: 170)، ناهيك تنامي مظاهر القهر والقمع والاضطهاد والحرمان ببعديه السياسي والاقتصادي والاستبداد السياسي الممارس من قبل الأنظمة

العربية تجاه الشعوب، واختلال العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وعدم الاستقرار السياسي، والعسكري وغياب العدالة والمساواة وتفشي الفساد والاستغلال، مما أوجدت تلك الظروف بيئة مهيأة وخصبة لنمو أنماط شتى من الانحراف في الفكر والسلوك المتطرف (al khataibeh et al, 2014: 13). ويرى (بيومي، 2004، ص 146-ص153) أن غياب الدافعية الوطنية والانتماء عند الشباب، وانتشار الفراغ الفكري وعدم تفعيل الأحزاب السياسية والحد من دور الشباب في المشاركة السياسية كان من الأسباب الهامة في ظهور الأفكار المتطرفة بين الشباب في المجتمعات العربية.

وما طرأ على المجتمعات العربية من تغيرات اجتماعية وسياسية مع الثورات العربية أفضت إلى ظهور تيارات فكرية وتنظيمات متطرفة في العديد من مجتمعاتنا وهذه التيارات أخذت أشكالاً ومسميات مختلفة مستفيدة من وسائل التواصل لتزداد في الظهور والانتشار السريع والتأثير بشكل غير مسبوق مستغلة هذه الوسائل التكنولوجية لترويج أفكارها الهدامة مما كان لها أثراً واضحاً في التأثير على مجريات الحياة خاصة في البيئة العربية التي تعاني من أزمت حادة غير مسبوقة.

وقد فشلت الأنظمة السياسية العربية طوال عقودها الزمنية المنصرمة من قيادة الدولة العربية نحو بر الأمان؛ فلم توفق في تحقيق التنمية والتطور المطلوب، ولم تفسح المجال لبناء نظام ديمقراطي حقيقي، وفشلت في خلق وفاق وطني شامل واندماج ثقافي اجتماعي، ولا حققت امن قومي عربي ولا ألفة مجتمعية. وهذا ما توصل إليه (Al-Khataibeh, 2019) إذ عملت الأنظمة العربية الاحتكارية على غرس بذور التطرف وعوامله وتنميته بين الجماعات كایدولوجية وظيفية بأساليب متعددة ومنها غير مباشرة فهي ترعى نموه وتمارسه تارة وتقوم بمحاربته تارة أخرى لأجل تسويق سيطرتها واحتكارها واغتصابها للسلطة. حتى وصل المطاف بها إلى المتاجرة بالتطرف كسلعة، فهي تصطنع البيئة المناسبة من فقر وبطالة وظلم وفساد وحرمان سياسي واقتصادية لينمو التطرف، وتعمل على محاربته من جهة أخرى وبسياسات لا جدوى منها وتتخذ ذريعة لممارسة الاستبداد والاحتكار والهيمنة. لذلك ارتباط قوي بين الاستبداد الذي يقوم على حكم الفرد المطلق دون أي رقيب أو حسيب وهذا حال الدولة العربية المعاصرة.

العوامل النفسية للتطرف:

تعد الأسباب النفسية من اخطر العوامل المؤدية للتطرف بنظر علماء النفس، إذ يرجح كثير منهم النازع للتطرف والانحراف الفكري إلى عوامل سيكولوجية-نفسية داخلية أكثر من دور البيئة والمحيط الاجتماعي للفرد، ويمكن تناول بعض خلاصات التحليل النفسي في ذلك وحصر الأسباب النفسية التي تولد التطرف في الآتي:

أولاً: الدوافع النفسية الأصلية للتدمير: يرى علماء النفس التحليلي أمثال (فرويد وميلارى كلاين) أن التطرف يرجع إلى غريزة الموت والعدوان المتأصل في تكوين البشر منذ بدء الخليقة، ويحللها البعض الآخر على أنها تصريف للطاقة أو للشحنات العدوانية سواء كانت موجّهة للذات أو إلى الآخرين.

ثانياً: ضعف الأنا العليا وسيطرة الذات الدنيا على الشخصية الإنسانية: ويقصد علماء النفس بضعف الأنا العليا فقدان فاعلية (النفس اللوامة والعقل والضمير) في ذات الفرد وقدراته وسلوكه مقابل سيطرة الذات الدنيا (الهوى أو النفس الإمارة بالسوء) على الشخصية الإنسانية، فيصبح الفرد أسير الأخيرة في نمط تفكيره وسلوكه. والشخص في هذه الحالة يتصرف وفق هواه وإيحاءات النفس دون النظر إلى العواقب، وهؤلاء من تعرضوا لضغوط أسرية أو معاملة والديه غير سوية، أو من فشلوا في تحقيق ذواتهم ولم يجدوا من يحتويهم ويرشدهم مما يكون لديهم ميول عدوانية كامنة تظهر دون شعور إذا سنحت لها الظروف وكانت الأمور مواتية لظهور تلك الأفكار والسلوكيات المتطرفة (الحسين، 2002، ص 397).

ثالثاً: تضخم الأنا العليا بسبب الشعور المتواصل بوخز الضمير: ويعتبر هذا من الحيل الدفاعية النفسية التي يلجأ إليها الشخص عندما يشعر بتقصيره تجاه نفسه أو مجتمعه مما يدفعه إلى العمل على تطهير نفسه ومجتمعه بارتكاب أفعال سلوكية يجد فيما بعد أنها تتنافى مع السلوكيات المجتمعية وتعد تطرفاً (راجع، 1985، ص 574).

وتشخص الشخصية المتطرفة ببنية نفسية خاصة إذ تتسم بدرجة عالية من التعصب والتصلب، وضعف الأنا والمغايرة، والسيطرة، والجمود الفكري، والنفور من

الغموض، فهي جميعا مجتمعة تسهم في تحديد خصائص تلك الشخصية المتطرفة وهذه الخصائص تعد خروجاً عما أقرته أيديولوجية وثقافة المجتمع (سليمان، 1993، ص 73 - 74). كما تعتبر الأفكار اللاعقلانية المحرك والدافع الرئيس لقيام الفرد بالأعمال الإرهابية والسلوكيات العدوانية المتطرفة، فهي المؤشر الذي يدل على الخلل المعرفي الذي يعانيه الفرد، والنزعات العدوانية تجاه الآخرين، حيث تفسر نظرية العلاج العقلاني الانفعالي سلوكيات التطرف والعنف والإرهاب من خلال محتوى التفكير الذاتى السلبي الذي يعتنقه الفرد، الأمر الذي يقوده لتطرف. ومن هذه الأفكار اللاعقلانية (بعض الناس شر وأذى وعلى درجة عالية من الخسة والجبن والندالة ويستحقون العقاب والتوبيخ، المصائب والتعاسة تعود إلى الظروف الخارجية وليس للفرد عليها سيطرة)، وغيرها.

العوامل الاقتصادية للتطرف:

من المؤكد إن الظروف الاقتصادية الصعبة التي تعيشها شرائح كبيرة من الشعوب العربية كالجوع والفقر والبطالة وسوء توزيع الثروة والعوز الاقتصادي وسوء المعيشة والغلاء وغيرها تشكل بيئة خصبة لنمو التطرف. وفي هذا السياق يقول أحد المفكرين (وليام نوك) في مؤلف: "عالم جديد متغير" أن التطرف نتيجة للصراعات بين الفئات المطحونة والمهمشة وبين رجال المال والتجارة، وأن التغيرات الاقتصادية المتسارعة تؤدي إلى اتساع الفجوة الطبقيّة مما تعمل على ظهور مسببات التطرف (الظاهري، 2002، 59). وعلى أية حال تشترك ظواهر التطرف والإرهاب والعنف معاً في تلك المسببات الاقتصادية ويمكن اختصارها بالآتي:

1- عدم القدرة على حسم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية بين الدول والمجتمعات، واتساع الهوة بين الغنية والدول الفقيرة وعدم السماح بتحقيق مستويات معيشية أفضل للفقراء الشعوب.

2- الحرمان الاقتصادي وتفشي الفقر وعدم عدالة توزيع الموارد الاقتصادية وإيجاد توازن بين المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها كثير من فئات المجتمع في كثير من الدول

ساهمت في نمو التطرف وانتشاره (وهبان، 2015:169) و(الظاهري، 2002: 57)، وعلى وجه الخصوص في المجتمعات العربية.

❖ قائمة المراجع:

- 1 إبراهيم، عبد الستار (1983): *العلاج النفسي الحديث قوة للإنسان*، القاهرة، مكتبة مدبولي.
- 2 بيومي، محمد احمد (2004): *ظاهرة التطرف الأسباب والعلاج*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- 3 بلكا، إلياس (2010): *في ظاهره التطرف*، مقال منشور على موقع السكينة بتاريخ 1 يونيو، متاح على www.assakina.com/studies/4990.html
- 4 البرعي، وفاء محمد (2002): *دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري*، الإسكندرية.
- 5 الجندي، أمينة (1989): *التطرف بين الشباب*: مجلة المنار، العدد (51).
- 6 الحارثي، احمد (2011)، *الإسلام والتطرف*، مجلة نوافذ- المغرب، المجلد 47، العدد 48، الرباط.
- 7 الحسين، أسماء عبد العزيز (٢٠٠٢): *المدخل الميسر إلى الصحة النفسية والعلاج النفسي*. الرياض: دار عالم الكتب.
- 8 الحربي، علي سليم منصور (2011): *اتجاهات الشباب السعودي نحو ظاهرة التطرف الفكري: دراسة اجتماعية على عينة من طلبة جامعة القصيم*، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.
- 9 عبد الستار، ليلى (1992): *تنمية التفكير السليم لدى الشباب الجامعي لمواجهة التطرف*، دراسة تحليلية، مجلة دراسات تربوية، المجلد السابع، الجزء 43.

- 10 عبد العال، عبد الحي عزب (2015): *التطرف والغلو وأثر ذلك على الشعوب والمجتمعات*، ورقه عمل مقدمه لمؤتمر دور العلماء في الوقاية من الإرهاب والتطرف، جامعه نايف للعلوم، الرياض، 7-9 أبريل.
- 11 عبد الله، معتز سيد (1989): *الاتجاهات التعصبية*، مجلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 137.
- 12 عبد الرازق، محمد (2004): *التطرف في الدين، دراسة شرعية*، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب.
- 13 عز الدين، احمد جلال (1986): *الإرهاب والعنف السياسي*، القاهرة، دار الحرية.
- 14 رشوان، حسين عبد الحميد أحمد (1997): *التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع*، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
- 15 الصاوي، صلاح (1993): *التطرف الديني الراي الآخر*، دار الأفاق الدولية للأعلام، القاهرة.
- 16 الفضلاوي، مراد (2011): *التطرف السياسي والديمقراطية في تونس*، متاح على: www.turess.com
- 17 دافوف، ليندا (2000): *السلوك الاجتماعي، الوراثة، البيئة - والروابط الاجتماعية*، ط1، الدراسة الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة.
- 18 القعر، حمزة حسين (2003): *سماحة الإسلام في التعامل مع المخالف* "في: سماحة الإسلام في التعامل مع المخالف، في: ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، مكة المكرمة.
- 19 سليمان، جلال محمد (1993): *التطرف وعلاقته بمستوى النضج النفسي الاجتماعي لدى الشباب*، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر.

- 20 الشراي، محمد سليم (2007)، *اتجاهات الشباب السعودي نحو ظاهرة الإرهاب دراسة على عينة من طلبة الجامعات السعودية*، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.
- 21 راجح، أحمد عزت (1985): *أصول علم النفس*. الإسكندرية، دار المعارف.
- 22 مديرية الإفتاء في القوات المسلحة الأردنية، 2006، *بيانات الصادرة عن المديرية*، عمان.
- 23 المعيدر، ريم عبد الله (2015)، *أثر شبكات التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري لدى طالبات المستوى الجامعي*، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد (164) الجزء الثاني.
- 24 المؤيد، حسين (2012): *الدورة الأولى للأئمة والخطباء والدعاة التي أقامتها وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف في مملكة البحرين* 19 مايو.
- 25 طه، سعيد ومحمود، سعيد (2001): *الأبعاد الاجتماعية والتربوية لظاهرة التطرف والعنف في المجتمع المصري (دراسة تحليلية نقدية)*، مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، عدد (38).
- 26 الظاهري، خالد بن صالح بن ناهض (2002): *دور التربية الإسلامية في مكافحة الإرهاب*، الرياض، دار عالم الكتب.
- 27 نعيم، سمير احمد (1983): *الانحراف الاجتماعي وواقع البلدان النامية*: مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد (11)، العدد الرابع.
- 28 وهبان، احمد محمد (2015)، *اتجاهات تحليل ظاهرة الإرهاب وتطورها، مدلولها، بواعثها: دراسة مسحية للأدبيات المعاصرة*، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 27، عدد 2، ص 141-179.

- 1 . Philip M. Fernbach, Todd Rogers, Craig R. Fox and Steven A. Sloman (2013): *Political Extremism Is Supported by an Illusion of Understanding*, Psychological Science published online 25 April.
- 2 . Joe,L.N.,(1975) : *Extremism The pattern ,Causes, response, and Perspective Theory*, New York, press.
3. Al-Khataibeh, Yousef D (2019), *Social Media-Extremism Ideas as an Intellectual Security Threat: A Case Study of Jordanian University Undergraduates*, Journal of Human and Social Studies, University of Oran 2, Vol (8), (2). Pp 439-460 <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/97302>
4. Al-Khataibeh, Y., Bani-Salameh, M. & Al-Rawashdeh, A. (2014). *Factors and Manifestations of Ideological Extremism as Seen by Youth in Jordanian Universities: An Empirical Sociological Study. Journal of the Social Sciences*, 42(3), 9-45.